
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

الجهود الدولية لالغـاء الرق

فى أفريقيـــا

د٠ عبد الله عبـد الرازق ابراهيم

مدرس بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة

تعد تجارة الرقيق وصمة عار على الحضارة المسيحية عندما بدأت الدول الأوربيـة عمليات استرقاق الجنس البشرى خاصة عندما بدأت كل من أسبانيا والبرتغال شحن الرقيق الى جزر الهند الغربية مع حلول القرن السادس عشر واستمرت هذه التجارة البشـعة فى البشر طوال أربعة قرون من الزمان وشاركت بريطانيا فى هذه التجارة بشكل واضح خصوصا بعد أن صـار الرق مصدر رخاء للتجار البريطانيين ولا ينسى التـاريخ ماقام به الانجليز من جهود فى تجـارة الرقيق منـذ القرن السـادس عشر حيث كان القرصـان الانجليزى سـير جـون هوكنز (Sir John Hawkins) أول بريطانى يؤمن بجدوى تجارة الرقيق التى تحقق أرباحا تفوق أرباح الاتجـار فى الذهب أو العـاج وقـد بدأ مغامراته فى هـذا المجال عندما رسى فى سيراليون لأول مرة فى الثامن من مايو ١٥٦٢ وأسر ٤٠٠ أفريقى وباعهم للأسـبان فى العالم الجديد وذلك مقابل ٢٥ جنيها للأفريقى وتبعـه فى هذا المضمار عدد آخر من التجار الانجليز [١] ٠

---

(1) Elias, T.O. : Ghana and Sierra Leon, London, 1962, p. 219.

وكانت الشركات البريطانية تعمل أولا فى ميدان تجارة الذهب ولكنها بدأت تتجه الى الرقيق ، وكانت أول دفعة من هذا الرقيق قد وصلت الى فرجينيا (Virginia) فى عام ١٦٢٠ وبلغ عددهم عشرين الفا فقط [٢] .

ومنذ عام ١٦٤٠ بدأ الانجليز يصدرون الرقيق الى مستعمراتهم ومستعمرات الدول الأخرى فى الأمريكتين ، ولما كانت هذه التجارة تدر أرباحا طائلة فقد تحول عدد كبير من الانجليز الى تجار رقيق حتى أن عدد الرقيق الذين حصل عليهم البريطانيون فى عام ١٧٠٠ حوالى ١٥٠٠٠ عبد نقلهم الانجليز عبر الأطلسى . وزاد هذا العدد الى ٤٠٠٠٠ فى عام ١٨٠٠ وبلغ عدد السفن البريطانية التى كانت تعمل بنقل الرقيق حوالى ١٩٢ سفينة يتبع ليفربول وحدها ١٠٧ سفينة ويتبع لندن ٥٨ سفينة وبرستول ٢٣ سفينة بالاضافة الى أربعة سفن تخص لانكستر . وكانت سعة هذه السفن ٥٠٠٠ عبد وصارت منطقة سيراليون أهم المصادر الرئيسية للرقيق فى القارة الأفريقية ، وكان تجار الرقيق يقيمون مخازن وحظائر لحفظ الرقيق المخطوفين وكانت تلك المخازن تقام داخل قلاع وصل عددها فى عام ١٧٩١ حوالى ٤٠ قلعة . وكان يتبع الهولنديون وحدهم ١٥ قلعة وللانجليز ١٤ قلعة ولكل من البرتغاليين والدانماركيين أربع قلاع ، أما الفرنسيون فكانت لهم ثلاث قلاع .

لقد كان دخول الدول الجديدة الى ميدان تجارة الرقيق وبالا على سكان أفريقيا [٣] اذ قامت هذه الدول مجتمعة بالعمل فى الرق الجماعى وأخذت بريطانيا مكان القمة فى هذه التجارة حيث وصل عدد الرقيق الذين أرسلوا الى الممتلكات البريطانية وحدها فيما بين أعوام ١٦٨٠ ، ١٧٨٦ الى مليونين ومائة وثلاثين الفا . واذا قدرنا أن

---

(٢) رياض زاهر : استعمار أفريقيا ص ٧٠ .

(٣) خلف الله ، عبد الغنى عبد الله : مستقبل أفريقيا السياسى القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٢٩ .

ماوصل الى المستعمرات كان نصف ماخرج من أفريقيا لأدركنا أى خلل تعرضت له أفريقيا خلال القرن السابع عشر حيث قدر ماوصل الى المستعمرات الأوربية كلها حوالى أربعين مليونا وهذا يعنى أن قارة أفريقيا خسرت قرابة ثمانين مليونا [٤] .

وليس أدل على سوء المعاملة التى كانت يلقاها الرقيق من جانب الأوربيين من تعليق لهورس مان (Horace Maann) النائب عن ولاية ماسوشيتس الأمريكية فى مجلس العموم فى ٣٠ يونية عام ١٨٤٨ حيث جاء فيه (ان الانسان اذا ما أراد أن يصف الأفعال التى يخجل منها الأشرار فيمكنه القول أن بريطانيا العظمى كانت الأم بينما كانت مستعمراتها الأمريكية بنات لها ، وكانت الأم تلهث من أجل الحصول على الذهب وحتى يمكنها الحصول عليه فعقدت اتفاقا مع اللصوصية والموت وكانت وسائلها للحصول على أغراضها من هذه التجارة فى الرقيق هى القيود والسلاسل الحديدية والأسلحة النارية وغيرها لاصطياد الجنس البشرى وقد جعلت من أفريقيا مسرحا لصيدها ومن أهلها فريسة لها ومن مستعمراتها سوقا لها ، فقد اندفعت الى حيث يسكن السود كالذئب الى حظيرة الغنم فى منتصف الليل ، وأشعلت فى القارة الأفريقية النيران حتى تتمكن من الامساك بأهلها العزل وهم يهيمون على وجوههم من لهيب النيران وتركت الأطفال والشيوخ للهلاك أما الأقوياء من الرجال والنساء فقد ساقتهم فزعين مضطرين الى الشاطىء مقيدين ومغلغلين كالبضائع على مراكب ليس بها أية تهوية ومتلاصقين لدرجة لا تسمح حتى بمرور الهواء بينهم لتبدأ رحلتهم عبر المحيط وقد تفتح لهم فتحات المراكب مرة يوميا لامدادهم ببعض الطعام أو اخلاء الموتى .. حتى تصل المراكب الى الشاطىء فيكافىء الأوغاد من أهل الأرض الجديدة اللصوص بشراء ضحاياهم) [٥] .

---

(٤) الجمل ، شوقى : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، القاهرة ١٩٨٠ ص ١٤١ .

(5) Goodell, William Slavery and Anti-Slavery, New York, 1852, p. 9.

وأثناء هذه الرحلة فى التجارة المثلثة كانت تتبع أقسى الوسائل الوحشية التى كانت تؤدى فى معظم الأحيان الى هلاك عدد كبير من الرقيق ، وكان العبيد يجبرون على فتح أفواههم لبلع الطعام بواسطة قضبان حديدية محماه فى النار رغم شعورهم بالمرض ، كما كانوا يجبرون على الرقص والغناء وذلك بالقفز الى أعلى مع خبط ملابسهم بقوة لتحدث صوتا ومن يرفض يتم ضربه بالسياط كما كان الرقيق يربطون بالسلاسل والقيود الحديدية مع بعضهم أزواجا وهم عرايا تماما ويتم شحنهم فى المراكب فى مساحة لا تتجاوز للفرد ١٨ بوصة حتى لا يلتفت أى عبد وراءه أو على جانبه وحتى دون مراعاة لأى ناحية صحية وذلك حتى يمكن شحن أكبر عدد ممكن من الرقيق .

وهناك قصص كثيرة يصعب حصرها عن تلك المعاملة القاسية التى كان يواجهها الرقيق ونأخذ مثالاً واحدا لتلك الأعمال غير الانسانية لسفينة انجليزية تدعى زونج (Zong) أبحرت عام ١٧٨١ فى رحلتها عبر الأطلنطى وهى محملة بكامل حمولتها من الرقيق ، وعندما اكتشف أن مياه الشرب غير كافية لهذا العدد الذى تحمله السفينة وخوفا من هلاك ركابها فقد تم الالقاء بحوالى ١٣٢ عبدا فى عرض البحر حتى يمكن استرداد قيمة الخسارة من شركة التأمين وبالفعل تم تعويض السفينة بواقع ٣٢ جنيها استرلينيا عن كل عبد وذلك على اعتبار أن هذا الرقيق عبارة عن ممتلكات أو متاع لولا التضحية به لفقدت كل الشحنة وأيدت المحاكم الأمريكية ذلك وقررت أنه لا تنطبق عليهم أية جريمة من جرائم القتل (٦) .

وظهرت الوحشية فى ممارسة هذه التجارة حيث شلت مظاهر الحياة الأفريقية وصارت الأرض التى نزلها الأوربيون أحلك بقاع العالم ظلاما وسوادا وعزلة ومن الحقائق التاريخية أن الأفريقيين أنفسهم لطخوا أيديهم بهذه الدماء فاشتركوا مع غيرهم من التجار

---

(6) Burns Alan : History of Nigeria, London 1955, p. 69.

الأوربيين بنصيب وافر فى هـذه التجارة • اذ لم يكن التاجر الأوربى يجرؤ على التوغل فى الداخل خوفا من فقدان حياته وكانت بعض القبائل الأفريقية التى عرفت بالقسوة والشجاعة معا توفر على التاجر الأوربى كل هذه المخاطر ، فيسوقون بنى جنسهمبالألوف الى الشواطىء تحت لهيب السياط ، واستمر الرق ، والقارة تتعرض لحملات منظمة والتجار الأوربيون يشجعون استمرار هذه التجارة التى كانت تدر أرباحا طائلة حتى أواخر القرن الثامن عشر ووصلت تجارة الانجليز فى الرقيق ذروتها قبل حرب الاستقلال الأمريكية ، وكانت ليفربول أهم موانيها والى جانبها لندن وبرستول ولانكستر [٧] •

وأدرك الانجليز أن التاريخ لن يغفر لهم ما اقترفوه من آثام فى حق الجنس البشرى بممارستهم هـذه التجارة فى الجنس البشرى ، فتكونت بعض الجماعات الانسانية لمكافحة الرقيق ومن أبرز أعضاء هذه الجماعات توماس كلاركسون (Thomas Clarkson) الذى سافر الى برستول وليفربول لجمع البيانات عن الرقيق ، واستطاع أن يجمع العديد من المعلومات عن هذه التجارة وحمل معه عند عودته نماذج من قيود اليدين وقيود القدمين ، ونزعات الأظافر وفاتحات الفم وأسياخ الحديد التى كانت تكوى بها أجسادهم عند كتابة أسماء أسيادهم على ظهورهم وكذلك الأطواق التى كانت تشد اليها رقابهم حتى لا يفرون الى الغابات [٨] •

كما نقل جون نيوتن (John Newton) أحد تجار الرقيق الذى صار قسيسا بكنيسة سان مارى بلندن صور عن سفن العبيد أثناء الرحلة عبر الأطلسىالى العالم الجديد • ولعبت الكنيسة دورا ملحوظا فى الدعوة الى الغاء تجارة الرقيق حيث أصدر البابا ليو العاشر (شغل

---

(٧) رياض زاهر : مرجع سابق ص ٧٢ •

(٨) عطية ، أحمد محمد : دفاع عنالزنوج ، القاهرة١٩٦٥ ، ص٣٤ •

منصب البابوية من ١٥١٣ ــ ١٥٢٢) قرارا ضد العبودية • كما أصدر الامبراطور شارل الخامس أمرا فى عام ١٥٤٢ يقضى بمنع الاتجار فى الرقيق وباطلاق جميع العبيد فى أمريكا الأسبانية ، كما وجهت الملكة اليزابيث لوما شديدا الى جون هوكنز الذى نقل العبيد فى عام ١٥٦٢ الى جزيرة هسبيانيولا وتحركت قوى أخرى تدفعها الشفقة والرحمة على أبناء الجنس البشرى ، فأصدرت جماعة الكويكرز (Quakers) قرارا فى عام ١٧٢٤ ضد تجارة الرقيق (٩) •

وفى عام ١٧٨٣ أسست هذه الجماعة أول جمعية لالغاء الرق فى بريطانيا وقامت بحملة واسعة من أجل القضاء على هذه التجارة وخاصة فى غرب أفريقيا وكانت هذه الجمعية أول واحدة من نوعها فى العالم وكان ذلك سببا لتحرك طوائف الكويكرز فى المستعمرات البريطانية فى أمريكا فطردت من بينها كل من يمتلك عبدا ورفض تحريره (١٠) •

وعندما ثارت المستعمرات البريطانية فى أمريكا ضد الحكومة وحاربت الانجليز وحصلتعلى استقلالها فى عام١٧٨٣ وعد البريطانيون أثناء الحرب العبيد هناك بمنحهم الحرية اذا ما تخلوا عن أسيادهم من الأمريكيين وقد هرب عدد كبير منهم وانضموا الى القوات البريطانية ورحل عدد منهم الى لندن بعد الحرب حيث صاروا أحرارا ولكنهم كانوا فقراء فاضطروا الى الاستجداء فى الشوارع وصاروا فيما بعد مصدر قلق فى المجتمع •

وتحركت بعض الشخصيات البارزة فى المجتمع تدافع عن تلك الفئات المنكوبة وأخذت هذه الشخصيات تقود حملة ضخمة لاقناع

---

(٩) يونس ، محمد عبد المنعم : أفريقيا بين الاسترقاق والتحرر . ص ٤٢ •

(١٠) رياض ، زاهر : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

الشعب البريطانى بفظاعة هـذه التجارة ويطالبون بالغائهـا والقضـاء عليها ومن تلك الشخصـيات جرانفيل شـارب (Granville Sharp) الذى التقى بأحد العبيد ويدعى جوناتان سترونج (Jonatan Strong) الذى كان عبدا عند أحد المحامين فى جزيرة بربادوس وقد لقى هذا العبد معاملة قاسية من سيده انتهت بفقدان احدى عينيه (١١) .

قام شارب بطبع نشرة عن سـوء معاملة هذا العبد ووزعها على الأوساط القضـائية وتضمنت الدعوة الى مساواة العبـد فى الحقوق والواجبات بمجرد أن تطأ قدماه أرض انجلترا وفى تلك الفترة ظهر الى حيز الوجود قضية العبد جيمس سمرست (James Somerset)

جاء هذا العبد الى انجلترا فى صحبة سيده شارل ستيوارت وما أن وصل الى انجلترا حتى هرب من سيده لـكن أمكن القبض عليه مكبلا بالأغلال وأرسل الى جزيرة جامايكا وعرض الأمر على القضاء فقضت المحكمة فى ٢٢ يونيـة ١٧٧٢ بالحكم الذى أصـدره القـاضى اللورد مانسيفيلـد (Lord Mansfield) بأنه بمجرد أن تطأ قـدم أى عبد أى جزء من أرض بريطانيـا أو ممتلكاتها فانه يصبح حرا ، وكان هذا الحكم أول صفعة أصابت تجارة الرقيق والعاملين بهـا وضـاعف من الآمال المعقودة للقضاء عليها (١٢) .

وبعـد الحكم فى قضـية هـذا العبـد بدأ دعاة تحرير الرقيق يكثفون من نشاطهم فتألفت فى لندن فى عام ١٧٨٧ جمعيـة تتكون من

---

(١١) يدعى هذا المحامى ديفيد لزلى (Dovid Leslie) وكان قـد أساء معاملة العبد جوناتان سترونج وطالب باعتباره من ممتلكاته وقبض عليه وأودعه السجن لـكن جرانفيل شارب دافع عنه حتى حكم القاضى ببراءة سترونج واطلاق سراحه فورا لـكن المحامى قبض عليه ثانية الأمر الـذى دعى شارب الى دراسة الأمر بجدية .

(12) Coupland, R. : The British Anti Slavery Movement, London, 1933, p. 57.

اثنى عشر عضوا منهم ثمانية من جماعة الكويكرز وأخذت هذه الجمعية تطالب بالغاء تجارة الرقيق ، وتقابل معهم وليم ولبر فورس (William Wilberforce) الذى وعد بالتحدث بلسانهم فى البرلمان •

ووجد دعاة تحرير الرق فيه بطلا حيث كان عضوا فى البرلمان البريطانى عام ١٧٨١ ، وكان خطيبا مشهورا • وبدأ ولبر فورس يتبنى قضية تحرير الرقيق واستطاع اقناع صديقه وليم بت (William Pitt) بمحاربة هذه التجارة [١٣] •

ان الحملة الانسانية ضد الرقيق وتجارته قد أثرت بشكل عميق على السياسة البريطانية فى غرب أفريقيا ومن أبرز الأعمال الفعالة لهذه الحملة حكم اللورد مانسفلد عام ١٧٧٢ وقرارات البرلمان فى عامى ١٨٠٧ و١٨٣٣ وقد تضمن الأول والأخير التحرر فى انجلترا وفى الممتلكات البريطانية والخارج وعلى هذا الأساس خول قرار فى المجلس عام ١٨٠٨ الحق فى القبض على قوارب الرقيق ومن ثم بدأت الحملة البحرية فى الأطلسى وعلى الساحل • وفى عام ١٨١١ بدأت محاولة استخدام فرقة دفاعية وهى عبارة عن عدد محدود من الرجال والقوارب التى ترتكز فى مناطق محددة أو التى تقوم بعمليات الاستيلاء على الرقيق من السنغال الى الكونغو [١٤] •

واستمر الخلاف حول استراتيجية الوسائل البحرية الفعالة طوال الحملة وذلك عندما زاد عدد السفن الحربية من مجرد ست سفن الى أكثر من عشرين سفينة عام ١٨٤٠ •

---

(١٣) كان وليم بت عضوا فى البرلمان ثم صار رئيسا للوزارة البريطانية عام ١٧٨٣ واستقال عام ١٨٠١ وعاد الى الرئاسة مرة أخرى عام ١٨٠٤ •

(14) Newbury, C. W. : British Policy towards West Africa, London 1965, p. 132.

وسوف نعرض جهود بريطانيا فى القضاء على تجارة الرقيق فى أفريقيا وقد ظهر هذا عندما أرسل المندوبون الساميون فى البحرية البريطانية تعليمات الى القائد البحرى السير كولير (Collier) فى الثالث من نوفمبر ١٨١٩ وتضمنت الوثائق البريطانية فى مجال تحرير الرق ومنها قرارين للبرلمان بالموافقة على المعاهدات التى أبرمت مع البرتغال وأسبانيا من أجل القضاء على الاتجار فى الرق وبالاضافة الى الأوامر الأخرى التى تخول قواد السفن البريطانية البحث عن القوارب التى تحمل أعلام الدول الخاصة بالدولتين وكذلك المعاهدة التى وقعت مع ملك هولندا فى ٤ مايو ١٨٤٨ بشأن القبض على الرقيق (١٥) .

وفى مذكرة السير توماس فويل بوكستن T.F. Buxton الى جمعية التحضر الأفريقية فى أبريل ١٨٣٩ يقول ان المبدأ هو تخليص أفريقيا عن طريق تنمية مواردها ولكى يتم ذلك يجب القضاء على تجارة الرقيق والاهتمام بالتجارة وتثقيف الأفارقة ولهذا لابد من زيادة وتركيز الحملات التفتيشية وعقد المعاهدات مع رؤساء الساحل والداخل والحصول على أراضى للزراعة واحياء الثقافة الأفريقية وهذا يتطلب من الحكومة ارسال البعثات الدبلوماسية لعقد المعاهدات التى تتضمن ايقاف تجارة الرقيق ومنح الأراضى من استغلالها فى الزراعة وتأسيس الشركات التجارية واحياء المؤسسات الثقافية الأفريقية (١٦) .

---

(١٥) Parl. Popers XXIII (366), p. 84. ان المعاهدة مع البرتغال قد وقعت فى ٢٨ يولية ١٨١٧ وتم تبادل التصديقات فى ٢٧ نوفمبر ١٨١٧ وأما المعاهدة مع أسبانيا فقد وقعت فى مدريد فى ٢٢ نوفمبر ١٨١٧ وأما المعاهدة مع ملك هولندا فقد وقعت فى ٤ مايو ١٨١٨ وتم تبادل التصديقات فى ٢٥ مايو ١٨١٨ .

(16) Charles Buxton, Memoirs of Sir Fowall, Buxton Baronet with Selections from His Correspondence (London 1848), p. 448.

وقـــد أرسل اللورد بلمرستون الى المنـــدوبين الســامين فى سيراليون والى رؤساء السفن البرتغالية فى الثامن من نوفمبر ١٨٣٩ يفيد بأن الأوامر قــد صــدرت من جلالة الملــكة الى قواد البحرية البريطانية لمنع السفن التى تعمل فى الرقيــق وتحمل أعلام البرتغــال وكذلك منع السفن التى تعمل فى هذه التجارة ولا تحمل أية أعلام أو أى أوراق تثبت جنسيتها كذلك صدرت الأوامر لانشاء محاكم بريطانية من نواب البحــرية فى أى مكان داخــل مجــال النفــوذ البريطــانى والمستعمرات فى الخارج •

كما صــدرت الأوامر بأن تجــارة الســفن البرتغــالية التى تم احتجازها سوف ترسل الى موانى النفوذ البرتغــالى حيث يتم تسليمها الى السلطات البرتغالية •

وصدرت الأوامر أيضا بأن الزنوج الموجودين على هــذه السفن المحتجزة سوف يستقرون فى أقرب مستعمرة بريطانية أو ميناء بريطانى وسوف يكونون تحت اشراف الحاكم أو غيره من المسئولين فى المستعمرة وصدرت الأوامر أيضا الى حكام المستعمرات باتخاذ الاجراءات اللازمة لمساعدة الزنوج الذى يطلق سراحهم حسب هذه الأوامر [١٧] •

وفى عام ١٨٤١ أرسل اللورد راسيل Russell الى مندوبى جلالة الملكة على ساحل النيجر فى ٣٠ ينــاير ١٨٤١ يخبرهم باقامة علاقات طيبــة مع الرؤســاء والاتفاق معهم على الغاء التجــارة فى الرق فى منــاطقه وابدال ذلك بالتجــارة المشروعة وتبــادل السلع التجــارية معهم [١٨] •

---

(17) Parl. Papers, 1839, Slave Trade (A.) Correspondence British Commissioners p. 7.

(18) Parl. Papers, 1843, X LVIII (472), pp. 6-15.

وفى السابع عشر من فبراير ١٨٤٤ عقدت بريطانيا معاهدة مع رؤساء بمبيا (Bimbia) فى الكاميرون ونصت فى مادتها الأولى على منع تصدير الرقيق الى الأبد فى المناطق التابعة لرؤساء سمبيا ويتعهد هؤلاء الرؤساء على اصدار التشريعات التى تمنع الاتجار فى الرق بين رعاياهم كما نصت المادة الثانية على عدم السماح لاقامة أى أوربى فى مناطق رؤساء بمبيا بغرض القيام بعمليات تجارة الرقيق كما أنه لا تقام أى منازل أو مخازن بهدف الاتجار فى الرقيق كما تعهدت ملكة بريطانيا اعطاء سلع لرؤساء بمبيا قيمتها حوالى ١٢٠٠ دولار [١٩] .

وفى ١٢ يونية ١٨٤٤ صدرت تعليمات الى رؤساء البعثات التى تتفاوض مع الزعماء الأفارقة تضمنت ضرورة حصولهم على المعلومات الدقيقة عن تجارة الرقيق ووضعها فى ذلك الوقت والهيئات التى تمارسها والدول التى تخضع لها والطرق تى يتم بها الاتجار فى الرق وأساليب استلام ثمن الرقيق والأماكن التى تورد الرق . وطالبت التعليمات بضرورة تزويد قواد البحرية بتقرير سنوى مفصل على وضع التجارة المشروعة ومدى القضاء على الرق [٢٠] .

الجهود البريطانية لالغاء الرق :

وحتى عام ١٨٠٤ لم تقم انجلترا بأى اجراء ايجابى لأجل مقاومة هذه التجارة بينما كانت الدنمارك قد سبقتها وأصدرت مرسوما ملكيا فى ١٦ مايو ١٧٩٢ بابطال تجارة الرقيق على رعاياها ولكنها جعلت عام ١٨٠٢ نهاية التجارة [٢١] .

---

(19) F.O. Confidential Print, 1845.

(20) Parl. Papers, 1844, Instructions for the Guidance of Her Mejesty's Naval officers employed.

(٢١) رياض زاهر ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

وأخيرا نجحت الحركة من جديد عندما أثارها لورد جرانفل عام ١٨٠٦ ونجح فى حمل المجلس على اصدار قرار بانهاء تجارة الرقيق من جميع الأراضى البريطانية ولكن لم يوافق مجلس اللوردات الا فى عام ١٨٠٧ (٢٢) .

وتوجت هذه الجهود عندما وافق البرلمان البريطانى فى عام١٨٠٧ على الغاء تجارة الرقيق وتحولت مدينة فريتون (Freetown) فى سيراليون الى قاعدة للاسطول البريطانى لمراقبة تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسى وواصل دعاة تجارة الرق جهودهم حتى صدر القرار النهائى بالغاء الرق فى عام ١٨٣٣ فى جميع أنحاء الامبراطورية البريطانية .

وأخذت الحكومة البريطانية تسعى جاهدة لتنفيذ هذا القرار عن طريق دوريات سفن الأسطول البريطانى التى أخذت تجوب مياه غرب أفريقيا لمنع تصدير الرقيق أو نقله . وأصبح عدد السفن التى تعمل فى محافحة تجارة الرقيق حوالى عشرين سفينة حربية تقل أكثر من الف بحار مهمتهم البحث عن السفن التى تتاجرفى الرقيق . وكانت سيراليون هى القاعدة البريطانية الوحيدة التى تضم قاعدة لسفن دوريات مكافحة الرق ، وأنشئت بها محكمة لمحاكمة السفن التى يتم القبض عليها وهى تحمل الرقيق (٢٣) .

ونجح الأسطول البريطانى فى القبض على مئات السفن التى تعمل بهذه التجارة كما استطاع أن يحرر عشرات الألوف من العبيد وبالرغم من هذا فقد استمرت سفن الرقيق تحمل حوالى ١٢٥٫٠٠٠ عبد حتى عام ١٨٣٠ ورغم هذا استمرت بريطانيا فى مكافحتها لهذه التجارة وتبعتها دول أخرى حيث حرمت الدنمارك تجارة الرقيق فى ١٨٠٢

(٢٢) الجمل ، شوقى : مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

(23) Fage, J. D. : History of West Africa, p.101.

وحرمتها الولايات المتحدة فى عام ١٨٠٤ وحرمتها فرنسا فى عام ١٨١٨ الا أن اصـدار هذه القوانين لايعنى القضـاء على تجارة الرقيق ذلك لأن الدول الأوربيـة لم تكن جادة فى وضـع هـذه القوانين موضـع التنفيـذ (٢٥) .

وكان مؤتمر فيينـا الذى عقد فى عام ١٨١٥ لاعادة تنظيم خريطة أوربا بعـد الحروب النابوليونية فرصـة طيبـة لمحاربة تجارة الرقيق لاسيما وان السفن التابعـة لدول شمال أفريقيا كانت دائمـة الاغارة على سفن الدول الأوربيـة لنهبها واسترقاق ركابها فاتخذ المؤتمر قرارا بضرورة سحق هذه التجارة ومن أجل تنفيذ ذلك عقدت كل من انجلترا وفرنسا اتفاقا بالتعـاون فى عـدم ادخال الرقيق فى ممتلكاتهـا على أن تتوقف هذه التجارة نهائيا فى أول يونية عام ١٨١٩ (٢٦) .

وفى عام ١٨١٧ سمحت أسـبانيا والبرتغـال لسـفن الأسطول البريطانى بتفتيش السفن التابعـة لهما وفى عام ١٨٣١ انضمت فرنسا الى هاتين الدولتين وقـد اتخذت بريطانيا من هذه الأعمال ذريعة لفرض سيطرتهـا البحـرية . وكان رئيس الوزراء البريطـانى بلمرسـتون (Palmerstone) قـد بذل أقصى جهد يستطيع رجل أن يبذله فى سبيل تشجيع القضاء على هـذه التجارة واتخذ خطوة ايجابية فى هذا المجال عندما شكل لجنـة فى عام ١٨٧١ لبحث نشاط التجـار على الشاطىء الأفريقى ثم دراسة بنود المعاهـدات والاتفاقيات السابقة والبحث عن امكانيات الاستفادة منها فى وضع حد لتجارة الرقيق واتفق الرأى على وجوب زيادة سفن الرقابة فى المحيط الأطلسى وكان هذا الاجراء خطوة

---

(24) Lucas, C.P. : An Historical Geography of the British Colonies, vol. III West Africa, Oxford, 1913, p. 131.

(25) Blake, John : West Africa, 1445-1578, p. 30.

(٢٦) رياض ، زاهر : مرجع سابق ، ص ٨٢ .

لاستبدال المعاهدات القائمة بمعاهدات أخرى تنص على تحريم الرقيق نهائيا •

لكن هذه الجهود البريطانية لم تحقق الآمال المعقودة عليها فى القضاء على تجارة الرقيق لأن عدد العبيد المصدرين سنويا من غرب أفريقيا بلغ حوالى ١٣٥٠٠٠ عبد فى عام ١٨٤٠ ويقدر فيليب كرتن (Philip Curtin) ان عدد الرقيق الذين أخذوا من أفريقيا الى الأمريكتين قبل عام ١٦٠٠ كان حوالى ١٢٥٠٠٠ عبد ويمكن أن يضاف اليهم ١٥٠٠٠٠ تم نقلهم الى أوربا ليصل المجموع الكلى فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر حوالى ٢٧٥ر٠٠٠ والمتوسط السنوى لهذه الفترة التى بلغت ١٥٠ عاما حوالى ١٨٠٠ عبد وفى القرن السابع عشر قدر فيليب كيرتن عدد الأفارقة الذين رحلوا الى العالم الجديد حوالى ١ر٢٨٠ر٠٠٠ عبدا ويمكن أن يضاف اليهم ٢٥ر٠٠٠ عبد الى أوربا وجزر الأطلسى وبهذا يكون المتوسط السنوى للقرن السابع عشر حوالى ١٢ر٠٠٠ عبد سنويا كما قدم فيليب كيرتن عرضا سريعا للرقيق المصدرين الى أوربا والأمريتين على النحو التالى : (٢٧)

	عدد المصدر الى أوربا وجزر الأطلسى	عدد المصدر الى أمريكا	المتوسط السنوى
حتى عام ١٥٠٠	٣٣ر٥٠٠	—	٦٧٠
من عام ١٥٠١ — ١٦٠٠	١١٦ر٤٠٠	١٢٥ر٠٠٠	٢ر٤٠٠
من عام ١٦٠١ — ١٧٠٠	٢٥ر١٠٠	١ر٢٨٠ر٠٠٠	١٣ر٠٠٠
من عام ١٧٠١ — ١٨١٠	—	٦ر٢٦٥ر٠٠٠	٥٧ر٠٠٠
بعد عام ١٨١٠	—	١ر٦٢٨ر٠٠٠	٢٧ر٠٠٠
الاجمالى	١٧٥ر٠٠٠	٩ر٢٩٨ر٠٠٠	

(27) Curtin, Philip : The Atlantic Slave Trade : acensus, London 1969, pp. 100-120.

وتوضح هـذه الأقام أنه بالرغم من صدور قرارات محاربة الرق وموافقة الدول الأوربيـة عليها الا أن تجارة الرقيق استمرت حتى القرن التاسع عشر وهو قرن مكافحة هذه التجـارة ، خاصة وأن قرارات الحظر قـد طبقت على أوربا ولـكنها استمرت الى الأمريكتين ومع هـذا لم تقف جمعيـات مناهضـة الرق مكتوفـة الأيـدى أمام استمرار ممارسة الاتجار فى الرقيق وواصل ولبر فورس جهوده فى سبيل القضـاء عليها نهائياً واختـار خليفة له من الشباب يدعى توماس فاول بكستون (Thomas Fozel Buxton) الذىتقدم الىالبرلمان باقتراح تعويض الملاك فى جزر الهند الغربيـة عن الغاء الرق ، ونجحت هـذه الجهود فى اصـدار قانون الرق فى ٢٧ يوليـة ١٨٣٣ ونص على أن تدفع الحكومة البريطانيـة عشرين مليونا من الجنيهات فى سبيل الغاء الرق تعويضاً لأصحاب العبيد فى جزر الهند الغربية وفى ٣١ يوليـة ١٨٣٤ كان قـد تم تحرير ٨٠٠ الف من الرقيق من جزر الهند الغربية• كل هـذا كان تتويجا لجهود ولبر فورس الذى يكفيه فخرا أنه حمل أمته على رؤية مافى تجارة الرقيق من خطأ ، ثم حملها على الايمان بعد ذلك بأن الرق نفسه عمل غير مشروع حتى أبدت استعدادها لاصـلاح هذا الخطأ مهما كلفها من أموال [٢٨] •

جهود أفريقية لمقاومة الرق :

وفى الوقت الذى كانت بريطانيا توالى جهودها لمقـاومة الرق مع الدول الأوربية قامت بضغط مماثل مع الزعمـاء الأفارقة وعقدت معهم حوالى ١٥٠ معاهـدة صـداقة وسلام تتـازل الزعماء بمقتضاها عن أجزاء من بلادهم لبريطانيـا وتعهدوا فيها بالامتناع عن الاتجـار فى الرقيق ، وكان هـذا فى مقابل بعض الهـدايا من الأقمشة والطبـاق والخمور • وليس معنى عقـد هذه المعاهدات أن الزعماء الأفارقة لم يقوموا بعدل ايجابى من وحى أنفسهم ومن واقع المسئولية عليهم للقضاء

(٢٨) يونس ، محمد عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٥٠ .

على هــذه التجارة • فهنــاك بعض الجهود الأفريقية لمقاومة تجــارة الرقيق ، وبدأت تلك الجهود فى عام ١٥٢٦ عندما كتب الملك المشهور لدولة باكونجو (Bakongo) التابعــة للــكونغو (قرب مصب النهر) خطابا يحتج فيــه الى ملك البرتغــال أفونسو (Afonso) يشكو اليــه بأن تجارة الرقيق قد سببت أضرارا كثيرة لدولته [٢٩] •

وفى داهومى على ساحل أفريقيا الغربى أرسل الملك أجاجا (Agaja) جيشه للاستيلاء على مدينة اداره (Ardrah) فى عام ١٧٢٤ بقصد القضاء على تجارة الرقيق وأرسل خطابا الى الحكومة البريطانية يخبرها برغبته فى ايقاف تصــدير الرجال والنساء من شــعبه ، وشرح لهم الأضرار التى عادت على دولته من جراء هذه التجارة البشعة •

ومثال آخر أورده رحالة سويدى فى عام ١٧٨٩ عندما زار الامامة فى فوتاتورو فى شمال السنغال وقد كتب هذا الرحالة بأن الامامة فى فوتاتورو أصــدرت قانونا ينص على عدم أخــذ أى رقيق من فوتاتورو للبيع فى الخــارج ، ولقــد حاولت السفن الفرنسية ارغام الامام على انهــاء العمل بهــذا القانون ، ولــكنه رفض هــذا بالاضــافة الى عدة محاولات أخرى فى منطقــة بنين ولــكنها باءت بالفشل ولعل السبب فى ذلك يرجع الى أن تجارة الرقيق كانت جزءا أســاسيا من النظــام التجارى لغرب أفريقيا حتى الســنوات الأولى من القرن التاسع عشر وذلك للعمل فى المناطق الاستوائية الأمريكية [٣٠] •

وفى أوائل الســبعينات من القرن التــاسع عشر بــدأت حكومة الولايات المتحدة تبــذل جهودا جادة للقضاء على هذه التجــارة ولم يأت عام ١٨٦٥ حتى كانت تجــارة الرقيق عبر الأطلسى قــد انتهت وشهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر جهودا دولية أخرى للقضاء

---

(29) Davidson, Basil : A History of West Africa, p. 296.

(٣٠) رولاند أوليفر : موجز تاريخ أفريقية ، ص ١٣١ .

التام على هذه التجارة فى الجنس البشرى فقامت بريطانيا بعقد بعض المعاهدات مع الدول من أجل القضاء على الرق ، ومن أبرز تلك المعاهدات هذه المعاهدة مع سلطان زنجبار فى الخامس من يونية ١٨٧٣ ونصت على منع تصدير العبيد فى ممتلكات سلطان زنجبار واغلاق كل الأسواق العالمية التى تقوم فى مملكته بالتعامل فى الرقيق [٣١] .

كما عقدت بريطانيا معاهدة مع مصر فى الثالث من أغسطس ١٨٧٧ جاء فى مادتها الخامسة تعهد الحكومة المصرية بنشر أمر خصوصى يرفق بالمعاهدة ويكون من مقتضاه منع بيع الرقيق بالكلية فى أرض مصر ابتداء من تاريخ تجدد الأمر المشار اليه مع تخصيص نوع الجزاء الذى يترتب على من يخالف ذلك [٣٢] .

وعلى المستوى الدولى واصلت بريطانيا جهودها مع بقية الدول الأخرى على أن تتضمن كافة اللقاءات الدولية مايفيد الغاء الرق وتحريم الاتجار فيه ، جاء ذلك فى مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤/١٨٨٥ حيث نصت المادة التاسعة من نصوص المؤتمر « نظرا لأن تجارة الرقيق ممنوعة طبقا لمبادىء القانون الدولى الذى تعترف به القوى الموقعة على مرسوم المؤتمر ، ونظرا لأن عمليات نقل الرقيق سرا وبحرا ممنوعة ؛ لذا فان القوى التى لها حقوق سيادة أو نفوذ فى المناطق التى تكون حوض الكونغو ، تعلن أن هذه المناطق لن تستخدم كسوق للرقيق وتلتزم كافة القوى باتخاذ كافة الوسائل لوضع حد لهذه التجارة ، ومعاقبة كل المشتغلين بها » [٣٣] .

---

(٣١) رياض ، زاهر : مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٣٢) أنظر نص المعاهدة فى : البراوى ، راشد : مجموعة الوثائق السياسية الجزء الأول المركز الدولى لمصر وقناة السويس ، الطبعة الأولى ١٩٥٢ ص ص ٩٧ — ٩٩ .

(37) Hertslet, M : Map of Africa by Treaty, Vol. 11, Art, 9. p. 474.

وفى مؤتمر بروكسل الذى عقد فى الثانى من يولية ١٨٩٠ لبحث مسألة الرقيق الأفريقى نلاحظ أن معظم مواد هـذا المؤتمر تدور حول القضاء على تجارة الرقيق ، وتنظيم عمليات القضاء عليها ، وقد أفاض المؤتمر كثيرا فى النقاط والبنود التى تتعلق بالقضاء على هذه التجارة. فلقد نصت المـادة الثالثة على أن تتعهد القوى التى تمارس السيادة أو الحمـاية على مناطق فى أفريقيا أن تعمل على القضـاء عليها بأى وسيلة فعالة من حق القوى التى تفوض مسئولياتها الى شركات ذات براءة فى كل المناطق الواقعة تحت سيادتها ، وتظل هذه القوى مسئولة بشكل مباشر عن تنفيذ هذه البنود (٣٤) .

ويقع هـذا المؤتمر فى سبعة فصول تضمنت مائة مادة تدور كلها حول تجارة الرقيق والأسلحة النـارية وقد اشتمل الفصل الأول على مواد خاصـة بالتنظيم الادارى والقضـائى والـدينى والعسـكرى والعقوبات التى توقع ضـد من يتـاجر فى الرق كما تضمن هذا الفصل بنودا حول الرقيق المحرر وبنـاء المعسكرات ومحطات استقبال الرقيق المحرر ، ويتضمن الفصل الثانى بنودا خمسة تدور حول مراقبة طرق التجارة فى الرق وكذلك الوسائل الواجب اتخاذها لمنع الاتجار فى الرق وأيضا طرق تحرير الأفراد والأرقاء .

وجاء فى الفصل الثالث الذى تضمن حوالى اثنين وأربعين مادة عالجت وسائل القضـاء على الرقيق بحرا وحق الرقيق فى اسـتعادة حريتهم على ظهر السفن الوطنية وتضمن الفصل الرابع اثنى عشر مادة خاصـة بالرقيق المحررين والهاربين والرقيق على متن السفن المحلية .

وجاء فى الفصل الخامس فى سـت عشرة مادة عالجت وسـائل حماية الرقيق المحررين ومعاقبة كل دن يمارس العمل فى هذه التجارة .

---

(34) Hertslet, M. Map of Africa by Treaty, vol. 11. p. 492.

أما الفصل السادس فقد عالج فى ستمواد وسائل منع المشروبات الكحولية والرسوم الخاصة بها • وجاء فى الفصل الأخير النص على سريان مفعول هذا المرسوم بعد ستين يوما من ايداع المرسوم فى أرشيف الحكومة البلجيكية (٣٥) •

وقد تصدرت المادة الأولى من قرارات هذا المؤتمر اعلان القوى الموقعة على هذا المؤتمر اتخاذ الوسائل الآتية للقضاء على الرقيق :

١ — التنظيم المستمر للخدمات الادارية والقضائية والعسكرية للمناطق الأفريقية التى تدخل تحت حماية وسيادة الأمم المتحدة •

٢ — أن تقوم القوى المسئولة فى كل منطقة بانشاء محطات قوية بشكل تدريجى فى الداخل وتكون مهمتها اتخاذ الاجراءات الفعالة لكبح وحماية عمليات صيد الرقيق فى المناطق التى دمرت بسبب هذه التجارة •

٣ — انشاء الطرق وخصوصا السكك الحديدية التى تربط هذه المحطات المتقدمة بالساحل والسماح لسهولة الاتصال بالمياه الداخلية والى مجارى الأنهار ومنابعها والتى تفصلها الشلالات والجنادل وذلك لاحلال وسائل نقل سريعة اقتصادية بدلا من وسائل الحمل عن طريق الرجال •

٤ — بناء القوارب التجارية على المجارى المائية الصالحة للملاحة وكذلك على البحيرات فى الداخل بشرط أن تساندها مراكز محصنة على الشواطىء •

٥ — انشاء الخطوط التلغرافية التى تضمن اتصال هذه المراكز والمحطات مع الساحل ومع المراكز الادارية •

---

(35) Hertslet, M : Map of Africa by Treaty, Vol. III, pp. 488-520.

٦ ـ تنظيم الحملات والطوابير المتحركة لاستمرار عملية اتصال المحطات مع بعضها البعض ومع الساحل بقصد مساندة الأعمال القمعية ولضمان سلامة طرق المواصلات •

٧ ـ الحد من استيراد الأسلحة النارية أو على الأقل الأنماط الحديثة وكذلك الذخائر فى كل المناطق التى تأثرت بتجارة الرقيق •

كما جاء فى المادة الثالثة أن تتعهد القوى التى تمارس حق السيادة أو الحماية فى أفريقيا بالعمل تدريجيا كلما سمحت الظروف لكى تؤكد وتدقق فى قراراتها السابقة وذلك بالوسائل السالف ذكرها أو أى وسيلة أخرى مناسبة تهدف الى القضاء على تجارة الرقيق داخل منطقتها الخاصة وتحت اشرافها وعندما تجد ذلك ممكنا فانها تمد يد العون الى القوى التى تعمل فى أفريقيا لنفس الغرض وبهدف انسانى محض •

كما نصت المادة الخامسة على أن تتعهد الدول الموقعة على مرسوم المؤتمر بتطبيق القوانين الواردة به وان تصدر التشريعات الخاصة بوضع عقوبات على الأشخاص الذين يشتركون فى القبض على الرقيق بالعنف، ونصت المادة السادسة على أن الرقيق المحررين نتيجة توقف أو مصادرة قوافل الرقيق داخل القارة سوف يعودون من جديد اذا سمحت الظروف من جديد الى مناطقهم الأصلية •

وجاء فى المادة السادسة : يتم ارسال الرقيق المحررين طبقا للتوقف أو تشتت السفن فى داخل القارة الى موطنهم الأصلى بقدر ماتسمح به الظروف واذا تعذر ذلك تقوم السلطات المحلية بمساعدتهم فى الحصول على وسائل الرزق اذا رغبوا فى الاقامة فى نفس المناطق (٣٦) •

وجاء فى المادة السابعة ان أى هارب يطلب من الدول الموقعة

---

(36) Ibid : p. 493.

على هذا المرسوم حمايته ، فعليها أن تلبى طلبـه ، وأن تستقبله داخل المعسكرات أو المحطات التى أنشئت لهـذا الغرض على ظهـر السفن الحكومية التى تعمل فى الأنهار والبحيرات • ونصت المادة ١٨ على أن الدول الموقعـة على هذا الاتفـاق يجب أن تبـاشر مسئولياتهـا نحو حماية الرقيق المحررين ، وأن تكفل لهم سبل الحياة الـكريمة •

وبدأت الدول الأوربية ابتداء من القرن التاسع عشر تضع مبادىء تحريم الرق موضع التنفيذ ففى عام ١٨١٦ تأسست جمعية الاستعمار الأمريكية ومنذ تأسيسها أخذت على عاتقها مسئولية نقل الرقيق المحررين الى ليبريا ، ولم يكن الدافع الى ترحيل هؤلاء الرقيق انسانيا وانمـا كان الدافع الحقيقى هو أن كثيرا من الرقيق نالوا حريتهم بسبب موت أسـيادهم فى الولايات المتحـدة أوائل القرن التاسع عشر وكان ملاك الرقيق يكرهون أن يجدوا فى أرضهم رقيقا يتجولون وهم أحرار من كل سلطان فيحرضون بنى جنسهم من الرقيق على التطلع الى الحرية وهو شىء لا يتفق مع مصالح أصحاب المزارع الواسعة (٣٧) •

وفى عام ١٨١٩ قررت الحكومة الأمريكية اعطاء البحرية الأمريكية حق تفتيش السفن فى البحـار بحثـا عن الرقيق وأن تطلق سراحهم وتعيدهم الى أفريقيـا مرة أخرى •

ونسقت جمعيـة الاسـتعمار الأمريكيـة جهودها مع الحكومة ، وأرسلت بعثـة لاستكشاف مدى صلاحية شـواطىء ليبيريا للتعمير • وحصلت الجمعية فى عام ١٨١٩ على مرسوم حكومى بانشاء مستعمرة ليبيريا على مثال سيراليون البريطانيـة لـكن الحرب الأمريكيـة التى استمرت أربع سنوات من عام ١٨٦١ ــ ١٨٦٥ هـددت تحرير الرقيق بسبب ارتبـاط الجنوبيين بالرقيق وتجارته • ولـكن رغم ذلك فقـد استطاع أعضـاء البعثة شراء قطعـة من الأرض فى ليبيريا وأخـذته

(٣٧) خلف الله ، عبد الغنى عبد الله : مرجع سابق ، ص ٣٥٥ .

السفن تجلب الرقيق المحرر الى هذه المنطقة • وأخذت ليبيريا تستقبل جموع الرقيق المحررين وقامت جمعية الاستعمار بادارة شئون هـــذه الدولة النـــاشئة حتى منتصف القرن التاسع عشر • ففى عام ١٨٤٧ انسحبت الجمعيـــة من هذه المهمة ، وأصبحت ليبيريا جمهورية زنجية مستقلة ، وصــــار جوزيف جنكر روبرت أول رئيس لها • وفى عــــام ١٨٥٧ انضمت اليهـــا ولاية ماريلاند ، وهى أقصى مقاطعــــات ليبيريا جنوبا وفى عام ١٨٦٠ اعترفت الولايات المتحدة بها رسميا (٣٨) •

أما الرقيق المحررون فى بريطانيـــا وممتلكاتها فقد أنشئت لهم أول مستوطنة أفريقية فى سيراليون وهى مستوطنـــة ترتبط ارتباطـــا وثيقا بقصة الرق فى بريطانيـــا حيث ترتب على حكم القاضى مانسفيلد فى عام ١٧٧٢ ان عدداكبيرا من الخدم الزنوج تجاوز أربعة عشر الفا هاموا على وجوههم فى طرقات وشـــوارع لندن دون عمل ، مما ترتب عليه بطالة وجوع ومرض ، وبذلك ظهرت مشكلة تحتاج الى حل ، وهنا أحس جرانفل شارب بمسئوليته ، فسارع بالانضمام الى لجنة تكونت يعد ذلك من رجال الأعمال فى لندن عام ١٧٨٦ وعرفت هذه اللجنة باسم لجنة اغاثة السود The Committee for Relieving the Black Poor. ونشرت نداء فى الصحف لجمع التبرعات لتحسين أحوال السود ونجم عن هذا النداء جمع مبلغ ثمانمائة جنيه فى شهور قلائل (٣٩) •

وفى عام ١٧٨٦ تقدم دكتور هنرى سميثمان (Henry Smeathman) بمشروع لاقامة مستوطنة فى شبه جزيرة سيراليون لايواء الزنوج فى بريطانيا واقتنعت لجنـــة السود بهذا الاقتراح وعرضـــته على وزارة الخزانة البريطانيـــة التى وافقت عليه ، وتكلفت بدفع الأموال اللازمة

---

(38) Donnan, E. : Documents Illustrative of the History of the Slave Trade to Ammerica, p. 76.

(٣٩) يونس محمد عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

لنقل الرقيق الى سيراليون • وبالفعل تم جمع كل العبيد المتسولين من الطرقات والشوارع وأمكن شحن سفينتين ، وقد وصلت القافلة الى تناريف (Teneriffe) احدى جزر كناريا فى العاشر من مايو ١٧٨٧ وبعد أسبوع قضته هناك واصلت سيرها الى خليج فرنشمانز (Frenchman's Bay) عند مصب سيراليون (٤٠) •

وفى عام ١٧٩٠ نجح جرانفل شارب وزملاؤه فى تأسيس شركة عرفت باسم رابطة خليج سان جورج The St. George's Bay Association) بهدف تشجيع وتنشيط التجارة المشروعة مع ساحل غرب أفريقيا وفى ١٧٩١ زاد عدد مؤسسى الجمعية حتى بلغوا مائة عضوا وطالبوا البرلمان باصدار قرار تأسيس الشركة وعرض المشروع على مجلس العموم ، وصدر القانون بتأسيس شركة سيراليون فى السادس من يونية ١٧٩١ وحلت محل الشركة السابقة وفى ١٥ يناير ١٧٩٢ حملت السفن المهاجرين تباعا فى الفترة من ٢٨ فبراير الى ١٩ مارس ١٧٩٢ وبلغت جملة المهاجرين حوالى ١١٣١ فردا ومات أثناء الرحلة ٥٦ رجلا (٤١) •

واستمرت الشركة تباشر عملها ولكن بسبب الخسائر الفادحة بدأت المحاولات فى عام ١٨٠٣ لاقناع الحكومة بتولى أمور سيراليون وأرسلت لجنة برلمانية للتحقيق فى خسائر الشركة وأوصت هذه اللجنة بنقل ادارة المستوطنة الى الحكومة ووافق البرلمان بالفعل على صرف المبالغ اللازمة لاقامة المزيد من التحصينات وفى أوائل عام ١٨٠٧ صدر قانون بتحويل المستوطنة الى مستعمرة للتاج وحلت شركة سيراليون ، وتم بالفعل النقل الرسمى فى أول يناير ١٨٠٨ وأنزل علم الشركة ورفع العلم البريطانى ، وهكذا صارت سيراليون مستعمرة بريطانية

(40) Fyfe, C. : A Short History of Sierra Leone, London, 1965, p. 7.

(٤١) يونس محمد عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٦٩ •

وانتهت قصة الرق داخل بريطانيا بعد صدور قرار الغاء هذه التجارة فى الممتلكات البريطانية فيما وراء البحار ، وصار امتلاك العبد محرما فى أى جزء من الممتلكات البريطانية فى عام ١٨٣٣ (٤٢) .

والسؤال الآن :

لماذا أقدمت بريطانيا على الغاء تجارة الرقيق ؟

لعل سر اقدام بريطانيا على محاربة الرقيق لم يكن حبا فى الانسانية ولا ادعاء بالسعى نحو فعل الخير لبنى البشر ، ولكن بريطانيا أقدمت على هذا العمل بناء على أسس تجارية صرفة اذ لم يكن من المستطاع البدء فى أى نشاط تجارى عادى بين أوربا وأفريقيا قبل القضاء على تجارة الرقيق لأنها كانت أسهل وأوفر ربما من التجارة العادية ولذا كان من الضرورى أن تتكاتف الجهود بين كل الدول وعلى رأسها بريطانيا للقضاء على الرق حتى ينفسح المجال للتجارة العادية. كما أن بريطانيا اتخذت من عملية محاربة الرق وسيلة لتفتيش سفن الدول الأخرى ، وفرض زعامتها على البحار ، وتحت الرق ومحاربة هذه التجارة البشعة استطاع الانجليز التوغل فى الأنهار الأفريقية وعقدوا المعاهدات مع الزعماء والرؤساء المحليين ، كما فرضوا حمايتهم على مناطق أخرى من غرب أفريقيا تحت ستار القضاء على الرقيق . ويكفى للتدليل على ذلك التدخل فى شئون الأقطار الأفريقية بحجة ضمان تنفيذ قوانين الغاء الرق والنخاسة (٤٣) .

وهناك عوامل أخرى ساعدت على ضرورة الحد من هذه التجارة بل والسعى للقضاء عليها ومن هذه العوامل النقص الخطير فى عدد سكان غرب أفريقيا بسبب مافقدته من اعداد ضخمة أثناء عملية

(٤٢) الجمل ، شوقى : مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٤٣) الجمل ، شوقى : تاريخ سودان وادى النيل ، الجزء الثانى، ص ٢٣٢ .

صيد الرقيق ، وأثنــاء شن الغارات على الأهالى وكذلك بسبب عــدم الحاجة الى هؤلاء الرقيق بسبب الاختراعات الحديثة والنهضة الصناعية فى أوربا واستخدام الآلات التى تحل محل الأيدى العاملة . وبسبب استقلال الولايات المتحــدة الأمريكية وضــياع المستعمرات الأوربيــة هناك ، وسعى الدول الأوربية لاستغلال الموارد الأفريقية داخل افريقيا نفسها ، كذلك كان للأفــكار والحركات الانسانية التى أخذت تنــادى بالغــاء الرق واتفاق هذه المصالح الاقتصــادية التى يمكن أن تتحقق بالسيطرة التــامة على المنطقــة واستغلالها واتخــاذ شــعار محاربة الرقيق وسيلة لتحقيق تلك السيطرة ، وكانت بريطانيــا أول الدول التى استفادت من هذه الأفــكار بسبب امتلاكها لأسطول ضخم ســاعدها على تبنى وتزعم فــكرة حركة مكافحة تجارة الرقيق (٤٤) .

ومن أكبر سخريات التــاريخ الأفريقى ان ذلك الاتصال البحرى الذى أنهى عزلة أفريقيا وجعلها على اتصال بأجزاء العالم المختلفة قــد أدى فى النهاية الى وضع جعل أهم صادرات أفريقيا هو سكانهــا . ولقد أدى ممارسة العمل فى هــذه التجــارة الى القضــاء على بعض الجماعات البشرية القليلة العدد ، كما عانت جمــاعات أخرى فترة من الزمان وبدأت القــلاقل والاضطرابات بين الجماعات الأفريقية لعــدة سنين (٤٥) .

لقد كانت تجارة الرقيق سيئة على سكان أفريقيا واختلف هــذا السوء من مكان لآخر ، وازداد السوء على الضحايا أنفسهم حيث كانوا يوضعون فى الأغلال وفى مخازن عديمة التهوية ، ويعبرون الأطلسى

---

(٤٤) صبحى محمد نافع : تجارة الرقيق فى غــرب أفريقيــا وآثارها الحالية ــ رسالة دبلوم ، غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية عام ١٩٧٠ ، ص ٥٩ .

(45) Curtin, Philip : African History, p. 247.

فى رحلة الموت حيث كان يموت واحد من بين كل ستة أنفس من الأسرى. وقد أثرت تجارة الرقيق على الانتاج الأفريقى فى مجالين (٤٦) .

المجال الأول انها أجبرت غرب أفريقيا على تصدير أغلى مواردها الخام وأعنى بذلك الأيدى العاملة البشرية ، حيث نقل الملايين من الفلاحين والحرفيين للعمل فى المزارع والمناجم الأمريكية ، وحققوا بذلك أرباحا طائلة وثروات ضخمة ليس لوطنهم ولا أنفسهم بل لدول أوربا وأمريكا .

والمجال الثانى هو أن أفريقيا مقابل تصدير أغلى شبابها كانت تحصل على سلع مصنعة فى أوربا ، وهذا ماساعد على تدمير ثروات أفريقيا (٤٧) .

وترتب على تجارة الرقيق فى أفريقيا آثار أكثر خطورة فى المجال السياسى فلقد نجم عن استيراد كميات ضخمة من البنادق والبارود ، وكان المقابل لهذه الأسلحة هو الرقيق ، وقد ساعد ادخال الأسلحة النارية على احداث ثورة فى مجال القنص والقبض على الرقيق ذلك لأن الأسلحة النارية كانت أكثر فاعلية من السيوف والحراب . وعلى هذا فان الطلب على الأسرى من الرقيق كان يسير جنبا الى جنب مع الطلب على الأسلحة النارية ، وقد ساعد هذا الأزدواج على انتشار الحروب والصراع بين القبائل الأفريقية فأحدث دمارا فى الانتاج وفتكا بالقوى البشرية وتشتيتا للسكان ، كما أثار الفزع والخوف فى نفوس الناس . وعندما بدأ التكالب على غرب أفريقيا كغيره من المناطق الأخرى ، كان الانقسام والتشتت هو طابع الجماعات البشرية فى أفريقيا مما سهل على

(45) Groves, C.P.: The Planting of Christianity in Africa, Vol. 1 p. 61 .

(47) Davidson, Basil : Op. Cit., p. 293.

الغزاة الأوربيين مهمتهم فى السيطرة على أجزاء القارة المختلفة ، وكان هذا من أسوأ الآثار التى نجمت عن تجارة الرقيق [٤٨] .

وهكذا شهدت أفريقيا بعد الكشوف الجغرافية قيام تجارة الرقيق فى أثمن شىء بها ألا وهو سكانها طوال ثلاثة قرون ونصف وبعدها تصدر القوانين لالغاء الرق وبداية الاستعمار الكامل لأجزاء القارة بما فيها سكانها . أى أن الغاء الرق من أفريقيا كان المقدمة الطبيعية لاستعمار أفريقيا والسيطرة على كل مواردها وثرواتها ، ولكن هذه التجارة تركت آثارها على المنطقة .

الآثار التى ترتبت على تجارة الرقيق :

من المعروف أن منطقة غرب أفريقيا قد شهدت استقرارا سكانيا بعد حدوث اختلاط بين قبائل الشمال الأفريقى من البربر ومنطقة غرب أفريقيا ، وتوفر لدى شعوب المنطقة كل مقومات التطور والنمو السكانى داخل وحدات قبلية أو سياسية وكان نظام الرق بها اقتصاديا حيث استخدم الرقيق لاستغلال موارد المنطقة وثرواتها فى المجال الزراعى والتجارى . ولكن مع قدوم الأوربيين حدثت عملية تدمير سكانية حيث تم القضاء على قبائل بأكملها فى نطاق الممالك والامبراطوريات فى اقليم الغابات [٤٩] .

ومع قدوم الأوربيين الى غرب أفريقيا منذ القرن الخامس عشر حدثت تطورات هامة فى غرب أفريقيا حيث كانت تجارة الرقيق ورواجها بمثابة عامل جديد برز ليؤثر على شكل الحياة فى المنطقة وليمثل عامل هدم سكانى فيها فى الوقت الذى كان يشهد فيه السكان

---

(48) Johnston, H. H. : A History of the Colonisation of Africa, p. 121.

(٤٩) صبحى محمد نافع : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

تطورا فى نواحى حيـاتهم المختلفة ، فلقد ترتب على تجـارة الرقيق ورواجها نقص خطير فى عـدد السكان أدى الى تدمير الهيكل السكانى بعد نقل عدد كبير من الجنسين الى العـالم الجـديد ، وكانت الآثار الديمغرافيـة أخطر مما يمكن تصوره بسبب النقص الخطير فى عدد سكان المنطقة من ناحية وبسبب الأساليب التى اتبعت فى جلب الرقيق نفسه ، وحرق القرى وتدمير مساحات واسعة فى أنحاء المنطقة من جهة أخرى يضـاف الى ذلك الأمراض التى انتشرت بين السكان نتيجة لذلك أو لمـا نقله الأوربيون أنفسهم من أمراض لم تكن تعرفهـا المنطقة قبل وصولهم اليها .

ولعل من أهم الآثار التى أحدثتهـا تجارة الرقيق هى تلك الفوضى والحروب بين السكان أنفسهم بسبب الأسلحة النـارية التى استخدمت فى عمليات القنص وتعقب الرقيـق ، وما أعقب ذلك من خـلافات بين الزعماء الوطنيين وشن الحروب ضد بعضهم البعض وحرق القرى لأتفه الأسباب . ومحاربة بعضهم بعضاً للقبض على أكبر عدد من الرقيـق لارسالهم الى العـالم الجديد وقد أدى هـذا الى تدمير السكان من الداخـل والقضـاء على مجتمعهم القبلى وبالطبع ترتب على كل هـذا وجود حالة من القلق والفوضى وعدم الاطمئنـان بين سـكان هـذه المجتمعات .

وعلى العموم فقـد ارتبط بالتواجد الأوربى فى غرب أفريقيـا تغيير فى توزيع السكان بعد تغيير اتجـاه التجارة الى الواجهة البحرية للمنطقـة حيث استلزم انشاء النقـاط التجـارية على السواحل الى عملية تكثيف جـديد للسكان فى منـاطق جـديدة مثل سـانت لويس وداكار واكرا . كما أدى مجىء الأوربيين الى المنطقـة الى ظهور مدن أخرى كثيرة نتيجة النظم السياسية الجديدة وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن مدينة كادونا وابدجان قـد ظهرتا بفضـل نظام الادارة القائم على المراكز والأقسام .

ويتضح من هذا العرض أن تجارة الرقيق فى غرب أفريقيا قد تركت آثارها على كل منحى من مناحى الحياة ، ولمعرفة هذه الآثار بشيء من التفصيل فان الأمر يتطلب دراسة لكل أثر على حده .

أولا الآثار الاقتصادية :

لمعرفة آثار الرق على النواحى الاقتصادية يجدر بنا أن نلقى نظرة على الأحوال الزراعية والصناعية قبل قدوم الأوربيين حتى يظهر الأثر الذى أحدثه هذا التواجد الأوربى ومن المعروف أن شعوب منطقة غرب أفريقيا قد عرفت الزراعة منذ أمد بعيد ، وانتشرت الزراعة عبر السافانا وقامت زراعات الدخن والذرة والكسافا والموز واليام وساعد اشتغال السكان بالزراعة على توفر عامل الاستقرار السكانى فى المنطقة وادخال عدد من المحاصيل التجارية بعد اعتناق السكان للدين الاسلامى فى نطاق السفانا فى شمال نيجيريا ومالى والسنغال وكانتالزراعة بدائية يمارسها السكان منالولوف والماندينجو والسنغاى والهوسا وشعوب الأيبو واليوروبا والأشانتى وكان الرق يستخدم فى الزراعة من أجل استغلال ثروات المنطقة لصالح سكانها [٥٠] .

أما فى المجال الصناعى والحرف التعدينية فنجد أن المنطقة قد شهدت صناعات يدوية متمثلة فى صناعة النسيج والفخار والأدوات النحاسية والبرونزية وقامت حضارات قديمة فى ايفى وبنين فى الأطراف الشمالية من الغابة ، كما قامت حرف تعدين وصياغة الذهب فى ممالك غانا ومالى وصنغى ، وقامت صناعة الملح والقصدير . ويحدثنا بارث عندما زار كانو عام ١٨٥١ أنه وجد رواج المنتجات

(٥٠) محمد رياض : الاقتصاد الأفريقى : ص ٢٢٦ .

(51) Kirk Green, A.H.M. Barth's Travels in Nigeria, London, 1962, p. 116 .

الوطنيـــة كالأقمشة القطنيـــة المنسوجة كما وجد أن المنتجات الجلدية تحتل مكانة بارزة بين الصناعات الوطنية [٥١] .

وباختصار فان تجـــارة الرقيق ان كانت قـــد وجدت فى غـــرب أفريقيا قبل وصول الأوربيين اليها لم تكن ذات أثر على الثروة البشرية هنـــاك ولـــكن مع قـــدوم الأوربيين بدأت تظهر الآثار الاقتصـــادية السيئة حيث أدت هذه التجارة الى تدمير وهـــدم القوى البشرية فى المنطقـــة وهى أهم عامل فى القوى الانتاجيـــة يضاف الى ذلك عمليات التـــدمير والهـــدم بسبب تجارة الرقيق وما أعقبها من نقص خطير فى عدد السكان والقوى العاملة فى المنطقـــة هذا فضلا عما لحق بالأرض الزراعية من تدمير لمساحات واسعة وحرق وتدمير القرى بسبب غارات الرقيق ، وقـــد ترتب على هذه العمليات الهـــدمية العجز الـــكامل عن مزاولة أى نشـــاط اقتصـــادى ايجابى سواء من الناحية الزراعية أو الصناعية أو التجارية [٥٢] .

لقد حطمت تجـــارة الرقيق القرى والمراعى وهجر الناس مناطق استقرارهم الى منـــاطق أخرى أكثر أمنا وطمأنينـــة وقـــد أدى هذا التشتت الذى لحق بالشعوب الأفريقية الى نقص فى القدرة الانتاجية بسبب اصطياد عدد كبير من الرقيق أو بسبب تدمير المنـــاطق الشاسعة الصالحة للزراعة أو الرعى ، وترتب على هـــذا الدمار اتجاه النشـــاط الاقتصادى الى انتاج الحد الأدنى للطعام والذى لا يغطى الاستهلاك المحلى أو المشـــاركة فى الحروب ضـــد القبـــائل الأخرى لصيد أكبر عدد من الرقيق .

وفى المجال الصـــناعى نجد أن الاضراب الذى صـــحب عمليات قنص الرقيق قـــد أدى الى عـــدم وجود دوافع لدى الأفراد للعمـــل فى المجـــال الصـــناعى لأن الأسواق فقـــدت المستهلكين وتحول عـــدد

---

(٥٢) صبحى محمد نافع : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

كبير منهم الى العمل بالرق والبحث عن وسائل لشن الحروب والاغارة على القبائل الأخرى وقد أثر هذا على الصناعات المحلية كالنسيج والأقمشة والأحذية والودع والصناعات الفخارية كما انصرف الناس الى شراء المصنوعات الأوربية البديلة على كل هذا انحسار النشاط الصناعى فى بعض المناطق الشمالية من غرب أفريقيا والمثال الواضح لذلك هو مدينة كانو فى شمال نيجيريا التى زارها بارث عام ١٨٥١ ووجد بها نشاطا صناعيا وتجاريا هاما (٥٣) •

ولقد كان لرواج تجارة الرقيق على أيدى الأوربيين أثره فى نهب ثروات المنطقة الاقتصادية والقضاء على أى مظهر من مظاهر النشاط الاقتصادى فيها ، ولم يتوقف الأمر عند حد استمرار ضياع القوة العاملة أو الطاقة التى كان من الممكن الاستفادة بها فى العملية الانتاجية أو عند حد استمرار تدمير الثروة الطبيعية نفسها من أراض ومحاصيل ومراع ومراكز تجارية بل امتد الأثر الى احداث حالة خطيرة من الفوضى والقلق وعدم الاطمئنان يصعب معها انتاج أدنى حد من الطعام سواء للاستهلاك المحلى أو للتصدير •

والخلاصة أن تجارة الرقيق ورواجها من منطقة غرب أفريقيا عبر الأطلنطى قد أدت الى عملية استغلال منظم لثروات المنطقة لصالح القوى الأوربية والتى تمثلت فى استغلال الثروة البشرية كرقيق ثم نقلها الى العالم الجديد ، وتبع ذلك عمليات استغلال مستمرة ومنتظمة للثروات والمواد الخام الأخرى بالمنطقة بعد استعمارها واعادة تشكيل أوضاعها الاقتصادية بما يتلاءم مع الظروف والأوضاع الجديدة وذلك من أجل نهب أكبر قدر من هذه الثروات بأدنى التكاليف • ولقد كان لهذا الاستقلال أثره بعد استقلال دول غرب أفريقيا التى لازالت تعانى من اقتصاد متخلف حيث يعتمد اقتصادها

---

(53) Fage, J. D. : An Introduction to the History of West Africa, p. 86.

أساسا على تصدير المواد الخام الى الدول الأوربية الغربية ، وبقاء المنطقة فى عداد الدول المستهلكة للمنتجات والصناعات الأوربية وبالتالى اعتبارها سوقا لها ، وهذا الوضع لايساعد بأى حال من الأحوال على قيام صناعات حديثة بسبب المنافسة العالمية أو عدم وجود رأس المال اللازم أن بسبب عدم وجود الخبرة الفنية ، وبالتالى صارت تجارة الرقيق من العوامل التى أثرت فى اقتصاديات دول غرب أفريقيا حتى بعد القضاء عليها .

وكانت آثار تجارة الرقيق سيئة على المجتمعات الأفريقية حيث أن انحطاط الزنوج فى داخل القارة انما يرجع الى تعامل الأوربيين فى هذه التجارة البشعة وكان لتعاملهم فيها الأثر الأكبر فى انتشار الفوضى والخراب وتحطيم القبائل وتشريد مجتمعات بشرية بأكملها، ولم يهلك الرقيق فقط من سوء المعاملة البدنية بل من اليأس والأسى والانتحار [٥٤] .

كما كان لفقد أفريقيا للأيدى العاملة النشطة التى كان من الممكن استغلالها فى عمل انتاجى مثمر ، أثره فى ايجاد حالة من الشك والريبة بين السكان الذين لم يشعروا فى ظل هذه التجارة بالأمان والاطمئنان وبذلك صار السكان يعيشون ليومهم ولا يفكرون فى غدهم أو فى مستقبلهم ، وهذا الشعور يجعل من الصعب البحث عن وسائل لتحسين الانتاج بل ترتب على هذه الحالة من الفوضى وعدم الاستقرار الى هروب عدد كبير من السكان من أوطانهم الى أماكن تتوفر فيها الحماية وكانت هذه العمليات تتم بشكل جماعى وصار هدف السكان هو البحث عن وسائل للدفاع عن أنفسهم وليس البحث عن الاستقرار أو تشييد المدن [٥٥] .

---

(٥٤) د. عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى أفريقيا ، ص ٧٧ .
(٥٥) د. سعد زغلول عبد ربه تجارة الرقيق وأثرها على استعمار غرب أفريقيا بحث منشور بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد العشرون لعام ١٩٧٣ .

ثانيا الآثار السياسية :

من أبرز الآثار السياسية التى ترتبت على تجارة الرقيق هو استغلال الدول الأوروبية لعملية القضاء على هذه التجارة بمحاولة جديدة هدفها السيطرة وبسط النفوذ على القارة الأفريقية لأجل الاستغلال الاقتصادى المباشر للمنطقة وشعوبها • ولتحقيق هذا الهدف اتخذت الدول الأوروبية من محاربة الرق شكلا ومظهرا انسانيا يبرر سيطرة هذه الدول على أجزاء من القارة الأفريقية وصحيح أن محاربة الرق قد اتخذ شكلا انسانيا هدفه النهوض بشعوب المنطقة والأخذ بيدهم الى سلم الحضارة والتقدم وأخذت الجماعات الانسانية تبذل قصارى جهدها من أجل القضاء على هذه التجارة غير المشروعة وتزعمت انجلترا هذا الدور البطولى حتى صدر قانون الغاء الرق عام ١٨٠٧ والغى الرقيق فى بريطانيا ومستعمراتها فى عام ١٨٣٣ • ولم يكن هدف بريطانيا انسانيا فى حد ذاته ولكنه ارتبط أساسا بما يحققه لبريطانيا من سيادة على البحار وامتلاك وتكوين قواعد جديدة على السواحل الأفريقية تضمن لها الاحتكار التجارى والوصول الى مستعمراتها فى آسيا وقد ساعدها على ذلك احتكارها للصناعة وعدم وجود منافسين لها فى هذا المجال [٥٦] •

لقد اتخذت الدول الأوروبية وخاصة انجلترا وفرنسا من عملية القضاء على الرقيق وسيلة لبسط السيطرة والنفوذ على مناطق غرب أفريقيا ومن الملاحظ أن بريطانيا تمكنت من تكوين أربع مستعمرات لها فى غرب أفريقيا ونافستها فرنسا والمانيا وايطاليا والبرتغال وأخذت كل دولة تدفع بالمغامرين والتجار لاثبات ملكية بلادهم فى المناطق التى يستطيعون الوصول اليها بحجة محاربة تجارة الرقيق وبدأت مرحلة جديدة من مراحل التنافس الدولى وتقسيم غرب أفريقيا

---

(٥٦) صبحى محمد نافع : مرجع سابق ، ص ٧٠ .

بين هذه الدول الأوربيـــة ومع اشتداد المنــافسة بين القوى الأوربية كان لابد لهـــذه القوى أن تتفق فيما بينهـــا على أسلوب لتقسيم هـــذه الممتلكات وكان هذا سببا فى عقد مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤/١٨٨٥ الذى وافق على ادعاءات الدول الأوربية وأضفى صفة شرعيـــة وقانونية على ماتم الاستيلاء عليه من أجزاء القارة الأفريقية ٠

وبعد استتباب الأمر للاستعمار والسيطرة الأوربيـــة على منطقة غرب أفريقيا وتقسيمها فيما بينها بدأت عمليـــات الاســـتغلال المنظم لمواردها الاقتصادية ٠

وباختصار يمكننا أن نقرر أنه فى حين كانت التجارة الأوربية فى الرقيق من منطقـــة غرب أفريقيـــا والوسائل التى اتبعوها ســـواء فى استرقاق الأهالى أنفسهم أو التجـــارة فيهم ، بمثابة هدم وتدمير لـــكل مظهر من مظاهر الحيـــاة البشرية للمجتمعات الأفريقيـــة فقـــد كانت بالنسبة للأوربيين دعامة هامة من دعائم بنـــاء الاقتصاديات الأوربيـــة والأمريكية مما جعلها تصل الى مرتبـــة الانطلاق الاقتصادى الهـــائل ولولا الرقيق الأفريقى والثروات الهائلة التى حققها الأوربيون من جراء هذه التجارة فى الانسان الأفـــريقى لمـــا قامت لأوربا أو لأمريكا مثل هذه القوة الهـــائلة فى تلك الفترة الوجيزة نسبيا ، ومن الممكن أن نقول ان الرقيق الأفريقى كان بمثابة الهشيم الذى احترق ليـــولد الطاقـــة اللازمة لتحريك ودفع محركات المجتمعـــات الأوربية والأمريكية لبنـــاء اقتصادياتها وتقدمها الحاضر ٠

الآثار الاجتماعية والخلقيـــة :

لقد تعرضت القـــارة الأفريقية لعملية استنزاف بشرى لم يسبق له مثيل ، فلقد ترتب على عمليـــات البيع للرقيق نقص شديد فى عدد سكان القرى حتى أن بعضها قـــد أزيل تماما وفى أوج صادرات الرقيق الأطلنطية فى النصـــف الثـــانى من القرن التاسع عشر بلغت فى عام

أو عامين حوالى مائة الف نسمة حتى أصبحت المستعمرات الأوربية فى العالم الجديد تضم حوالى أربعين مليونا من الرقيق ، ولعل النقص الشديد فى عدد السكان الذى ظهر بعد رواج هذه التجارة انما يعود الى طريقة معاملة السكان فى فترة الرق والى نقل عدد كبير منهم الى العالم الجديد بالقوة الغاشمة وبدون رحمة أو هوادة (٥٧) .

وكانت الرحلة التى يقطعها الرقيق من داخل القارة الى محطات الشحن تمر بمراحل شاقة حيث كان الرقيق يلقون الوانا من العذاب يتمثل فى قيدهم من أعناقهم بالأغلال واذا فكر أحدهم فى المقاومة أو الاحتجاج شدوا أعناقهم على عود ثقيل من الخشب وبعد ذلك يلقون فى السفن بطريقة لا انسانية (٥٨) .

وخسرت أفريقيا الكثير من سكانها بسبب نقص الخدمات الطبية وارتفاع نسبة الوفيات بسبب انتشار الأمراض التى لم تكن تعرفها المنطقة من قبل وبسبب نقل عدد كبير من القوى البشرية الى الخارج حيث كان متوسط ماينقل من العبيد الى أمريكا سنويا أكثر من مائة الف عبد (٥٩) . ويقدر عدد السكان الذين فقدتهم منطقة غرب أفريقيا مابين ١٨ و٤٠ مليوناً ، وعلى الرغم من اختلاف الأرقام حول ماخسرته القارة الأفريقية من ثروتها البشرية الا أنه من المؤكد أن أفريقيا خسرت أكثر من مائة مليون شخص معظمهم من الشباب ولم يبق بالقارة سوى العجزة والشيوخ غير القادرين على العمل والانتاج ، ولقد كان لهذا أثره فى احداث خلل فى السكان ، كما عانت منطقة غرب أفريقيا من فراغ سكانى .

---

(٥٧) كلارك جون هنريك : تجارة الرق والرقيق ، ترجمة مصطفى الشهابى ١٩٨٢ ، ص ٣٥ .

(٥٨) عنبر محمد عبد الرحيم : التمييز العنصرى فى افريقيا ، ص٣٠ .

(٥٩) الصقار فؤاد أحمد : التفرقة العنصرية فى أفريقيا . القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٤٥ .

وترتب على الحروب التى قامت بين الجماعات القبلية أكبر فائدة للأوربيين الذين استفادوا منها لصالحهم ، حيث نتج عن الأسلحة النارية والخمور فوضى وحروب بين الأفارقة الذين استغلوا وجود تلك الأسلحة بين أيديهم لتصفية الخلافات والمنازعات القبلية ولم يتوقف دور الأوربيين عند هذا الحد بل تدخلوا فى هذه الخلافات وشجعوا فريقا ضد الآخر لتوسيع هوة الخلاف وشن الحروب وحرق القرى ، وكان الهدف من كل هذا هو القبض على أكبر عدد من الوطنيين واسترقاقهم (٦٠) .

وعلى هذا فانه بسبب تجارة الرقيق تجردت المجتمعات الأفريقية من بعض الصفات الانسانية وتركت هذه التجارة أثرها فى سلوك الأفارقة الذين ظهرت عليهم علامات الشك والريبة والحذر والعداء للأوربيين اعتقادا منهم أن هذه التجارة كانت السبب المباشر فى ذلك التأخر الشديد الذى انحدر اليه قومهم بعد أن كانت لهم ممالك وحضارات مزدهرة قبل قدوم الأوربيين (٦١) .

---

(٦٠) انظر سعد زغلول عبد ربه : مرجع سابق .

(٦١) شكرى ربحى شكرى التاجى : مكافحة بريطانيا لتجارة الرقيق فى غرب أفريقيا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير عام ١٩٧٤ — كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ص ٢٩٥ .

مصـــــادر البحث

أولا رسائل علمية :

١ — شكرى ربحى شكرى التاجى : مكافحة بريطانيـــا لتجارة الرقيق فى غرب أفريقيا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر رسالة ماجستير عام ١٩٧٤ — كلية الآداب جامعة عين شمس •

٢ — صبحى محمد نافع : تجارة الرقيـــق فى غرب أفريقيـــا وآثارها الحالية — رسالة دبلوم غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية عام ١٩٧٠ •

ثانيا — دوريات علمية :

د• سعد زغلول عبد ربه : تجارة الرقيق وآثارها على اســـتعمار غرب أفريقيا ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد العشرون لعام ١٩٧٣ •

ثالثا — وثائق أصلية باللغة الانجليزية :

1. Parliamentary Papers XXIII, (366).
2. Parliamentary Papers, 1839.
3. Parliamentary Papers 1843, XLVIII (472).
4. F.O. Cofidental Print, 1845.

رابعا — مراجع عربيـــة :

١ — البراوى راشـــد : مجموعـــة الوثائق الأساسية ، الجزء الأول ، المركز الدولى لمصر وقنـــاة الســـويس ، الطبعـــة الأولى — القاهرة ١٩٥٢ •

٢ ـ الصقار ، فؤاد أحمد : التفرقة العنصرية فى أفريقيا ، القاهرة ١٩٦٢ •

٣ ـ الجمل ، شوقى : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها : القاهرة ١٩٨٠ •

تاريخ سودان وادى النيل ، الجزء الثانى •

٤ ـ خلف الله ، عبد الغنى عبد الله : مستقبل أفريقيا السياسى ، القاهرة ١٩٦١ •

٥ ـ رياض ، زاهر : استعمار أفريقيا ، القاهرة ١٩٦٥ •

٦ ـ رياض ، محمد : الاقتصاد الأفريقى •

٧ ـ فيج جون : ورولاند أوليفر : موجز تاريخ أفريقيا ، ترجمة دولت أحمد صادق ومراجعة د• محمد السيد غلاب ـ القاهرة ١٩٦٥ •

٨ ـ كلارك جون هنريك : تجارة الرق والرقيق ، ترجمة مصطفى الشهابى ١٩٨٢ •

٩ ـ عطية ، أحمد محمد : دفاع عن الزنوج ، القاهرة ١٩٦٥ •

١٠ـ عوده ، عبد الملك ، السياسة والحكم فى أفريقيا ـ القاهرة ١٩٦٢ •

١١ـ منير ، محمد عبد الرحيم : التمييز العنصرى فى أفريقيا •

١٢ـ يونس ، محمد عبد المنعم : أفريقيا بين الاسترقاق والتحرر ـ القاهرة ١٩٨١ •

خامسا – مراجع أجنبيـــــة :

1. Blake, John : West Africa, 1445-1578, London, 1977.
2. Burns Alan : History of Nigeria London 1955.
3. Coupland, R. : The Britich Anti — Slavery Movement, London, 1933.
4. Curtin Philip : The Atlantic Slave Trade, a census London, 1969.
5. Curtin Philop and others : African History, London, 1978.
6. Davidson, Basil : A History of West Africa, U.S.A., 1966.
7. Donnan, E. : Documents illustrative of the history of the Slave Trade to America, 4 vols. Washington 1930-5, vol. 1.
8. Elias, T. O. : Ghana and Sierra Leone, London, 1962.
9. Fage, J.D. : A History of Africa, London, 1978.
10. Fyfe, C. : A Short History of Serra Leone, London, 1965.
11. Good ell, William : Slavery and Anti Slavery, New York, 1852.
12. Groves, C.P. : The Planting of Christianity in Africa, Vol. 1 London 1955.
13. Hertslet, M. : Map of Africa by Treaty, 3 vol. London, 1906.
14. Johnston, H. H. : A History of the Colonization of Africa Cambridge, 1913.
15. Kirk Green, A.H.M. : Barth's Travels in Nigeria, London, 1962.
16. Lucas, C.P. : An Historical Geography of the British Colonies, vol. III, West Africa, Oxford, 1913.
17. Newbury, C. W. : British Policy towards West Africa, London, 1965.